علم الصوت المرحلة الثانية

صفات الاصوات:

الصفة لغة هي "الحلية والنعت، أما اصطلاحا فهي" كيفية خروج الحرف من الناحية الصوتية كالجهر والهمس وغيرهما؛ أمّا المراد بصفات الأصوات الحالات التي تصاحبها عند النّطق فهي عوارض تعرض للأصوات الواقعة في الحروف من الجهر والرخاوة والهمس والشدّة وأمثال ذلك0

تنقسم الصّفات إلى قسمين: صفات عامّة (التي لها ضدّ) ، وصفات خاصّة (لا ضدّ لها)0

<u>دلالة الأصّوات للصّفات العامّة التي لها ضدّ0</u>

أولا : دلالة أصوات الهمّس والجهر:

يتشكّل الهمس والجهر في أوّل مراحل التكوين الصوتيّ ، فحركة الأوتار الصّوتيّة وتذبذبها بشكل قويّ أو لين له علاقة بهذين الملمحين ، وبناءًا على هذا التّوجه لهذا التخريج ، وجب استقصاء مواطن الدّلالة في أصوات الهمس والجهر.

-أصوات الهمس

المهموس صوت أضعف الاعتماد في موضعه ، يتّسم بالليونة في طبيعته وتكوينه على العكس من الجهر ، فلا اهتزاز معه للأوتار الصوتية ، فالصوت المهموس هو الّذي لايهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النّطق به وممّا تفيده دلالة الهمس من ذلك ماجاء في سورة الشّمس،في قوله تعالى:﴿واللّيل إذا يغشاها﴾0"

فاللّيل يغشى الأرض ، ويضمّ ما فيها ، من الموجودات ويُخفيها "وهو المقرّر في صوت الهاء ، عند طرف الآية ، إذ يوافق ما في الهاء من الهمس والخفاء. وقد تقرّر الخفاء والاستتار في السّورة نفسها ،من قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾"، فإنّ النّفس البشريّة هذه مرتبطة بهذا الوجود ،وهما مشتركان في خفايا وأسرار وهي إحدى الآيات الكبرى ، في هذا الكون المترابط المتناسق ؛ إذ خلق الله عزّوجلّ فيها الخير والشّر ، والهدى والضّلال وأعطاه القدرة الكامنة الخفيّة القادرة على التمييز والتّوجيه "، وينكتنا القرآن الكريم ، بما في سورة الكهف من المظاهر الممتعة في وصف الجنّة وحال أصحابها ما ورد في قوله تعالى:﴿أُولَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي

مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .[1]"فأغلب الأصوات في الآية مهموسة (الحاء ، والهاء ، والسين المتكررة وأيضًا هي من الحروف الصفيرية)، ليتناسب كلّ ذلك مع وصف حال أهل الجنّة ونعيمها ، وفي تمازج يجلب السمع لهذا الوصف لأهل الجنّة وهم في أجمل وصف وألين حال0

-أصوات الجهر :

الجهر في الأصوات ناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازًا منتظمًا يحدث صوتًا موسيقيًا.فالجهر إذا هو ارتفاع في شدّة الصّوت ، فيكون للصّوت المجهور من سمات القوّة وطبيعة التأثير ما لايكون لغيره من الأصوات ، وممّا يفيده الجهر حول التهديد والوعيد ، وهذا يحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقّة الاسماع ، فمن التهديد ما يدرك في قوله تعالى: ﴿ويُنذِرَ الّذِينَ قَالُوا اتّخذَ اللهُ وَلدا﴾"فتكرار الأصوات المجهورة (الذال ، والدال ، والراء) ، ذات الوقع القويّ المؤثر لتكشف أبعاد المعنى الغريب ولتَلفِتَ الانتباه إليه لخطورته عليهم ، فارتبطتِ الأصوات المجهورة في مراكز الجملة معنويًا ممثّلة بـــ(الانذار ، والادعاء الكاذب ، اتّخذ ، وولدا) وكلّ هذا في خط متوازٍ ومنسجم مع المعنى الّذي تحمله الآية الكريمة وتزيد طبيعة الأصوات المجهورة من تأثير وقعها على السّامع.

ثانيا: دلالة أصوات الشّدّة والرّخاوة:

- دلالة أصوات الشّدّة (الانفجارية) :

تتغاير المواقف التي يسوقها القرآن الكريم ، فبعضها يحمل دلالة الرأفة فتكون الأصوات رخوة ومناسبة تلتقي مع دلالة الآفاق، وبعضها شديد فيه العنف والشدّة فيختار النّص بُنى صوتيّة شديدة تنسجم مع أفق ذلك المعنى.

الصّوت الإنفجاري ،ويسمّى بالوقفي ، ذلك لانحباس النّفس عند النّطق به، ويصاحبُ خروجه انفتاح المخرج دفعة واحدة ،ممّا يعطي الصّوت قوّة ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .[1]"إنّ هذه الأصوات الغالقة ، تدلّ على إحكام الغلق ، الّذي أحكمته امرأة العزيز على الصّديق يوسف عليه السّلام ، بعدما انغلقت نفسها البشرية الشريرة وقتها.[1]" وعلّق رمضان عبد التوّاب على هذه الصيغة: " فلو نظرنا مثلاً إلى الآية القرآنية التي تقول :﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ لأحسسنا بصوت المزاليج وهي تحكم رتاج

الأبـواب ، وينعـدم هـذا الإحسـاس مـع الفعـل" أغلـق"الّـذي يـدلّ علـى مجـرد الإغلاق وجاء في الصحاح: "هيت به، وهوت به، أيّ صاح به ودعـاه، وفيـه أيضًـا قولهم: هيت لك، أيّ هلـم لـك وأصـوات الكلمتـين المـوجزتين صـورتًا شـدّة رغبتهـا وخضوعها أمام نزوتها رغم مكانتهـا وجمالهـا وسيادتها ، فالهـاء تُـوحي بالضّـعف والهدوء والخفاء واللّطف ، والياء تُوحي بالانكسـار والذّاتيّـة والذّلـة والخضـوع، إذًا هي بنطقها تشير إلى)تحت(بمقابل ما تشير)الألف(إلى)أعلى (، والتاء تشير إلى الانفتاح المقصود بعد الانكسار والخضوع، فكأّها تقول: كلّ شيء متاح لك ،كما أنّها تشعر بالمباشرة لذا كانت التاء دالّة على الخطاب ، واللام بما فيها من لصوق اللّسان بالحنك عند النّطق بها ، تصوّر رغبتها في القرب الشديد منـه، إضـافة إلـى مـا فـي اللام من معنى التّملك حتّى كأنّهـا ملّكـت نفسـها لـه ، ثـمّ تـأتي الكـاف بمـا فيهـا مـن خاصيّة الاحتكاك، لتُؤكد معنى اللّصوق الّذي تفيـده الـلام، وتشـير بسكونها بـالوقف عليها إلى ختام هذا الخطاب الموجز في هدوء ولطف يتناسب مع الموقف.

وتتابعتِ الحركة مع الأصوات الانفجارية (الشّديدة) لتلاؤم قوّة المعنى وحركتـه فـي قولـه تعـالى :﴿ إِذَا السَّـمَاءُ انفَطَـرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِـبُ انتَثَـرَتْ وَإِذَا الْبِحَـارُ فُجِّـرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ يَا أَيُّهَا الْإِنسَـانُ مَـا غَـرَّكَ بِرَبِّـكَ الْكَـرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ إنّ هذا الإنسان الّذي يحسب أنّ كرم ربّه قد توقّف إلاّ أنّه سرعان مـا يجـده شاخصًـا أمامـه ، وهـو يجحـد هـذا ، ويحرم نفسه من التّمتع في رحـاب هـذا الكـرم "والمتأمـل يـرى فـي هـذه الآيـات أنّ أصوات الانفجار ، قد وقعت ما في معنى الانحبـاس والانقطـاع والتوقّـف، ولاسـيما التاء.

وجاء أيضًا في معنـى الطّلاقـة الّـذي تمثلـه الفـاء،في قولـه تعـالى :﴿وَالْمُرْسَـلَاتِ عُرْفًـا فَالْعَاصِـفَاتِ عَصْـفًا)إذ افتـتح التعبيـر القرآنـي فـي السّـورة بالقسـم بالملائكـة المعروفين عند خلقه ، وبالرّياح القويّة التي يتوقّـف عصـفها ويتبـيّن أنّ المقسـم بهـم أوقعُ هولاً على النّاس لخلقتهم التي لاحدود لها ، وإنّما أراد الله عزّوجلّ التهديد بلفظ "عرفًـا "و"عصـفًا "إذ إنّ عصـف الرّيـاح أشـدّ علـى النّـاس تهديـدًا بعـد الملائكـة ، والملاحظ زيادة معنى التهويل والاستطاعة ، في الآيتيـين وهـو المتمثّـل أساسًـا فـي الفاء ذات النّفخ .وتمثّله أيضًا في قوله تعالى:﴿وَجَنَّات أَلْفَافَ﴾ [1]"إذ هي جنّات الآخرة كثيفة الشّجر ذات الأغصـان الملتفّة ، كثرةً وتشعبًا وشساعةً وانتشارًا ،انتشار الـنّفس عند مخرج الفاء0

ويطلعنا القرآن الكريم في آية آخر قوله تعالى : ﴿فإذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الكُبرَى﴾ [1]"إنّ صوت الطاء والميم المجهورين الشديدين الواردين في لفظة الطّامة الدّالة على يوم القيامة يعبّر عن هول ذلك اليوم، وتشعرنا بحركة الطّم المناسب لهول وقوّة وشدّة يوم القيامة ، ونكاد نشعر بدويّ وطنين فكانت الأصوات معبّرة بايحاءاتها عن تلك الصورة المروعة.

-دلالة أصوات الرّخاوة:

الرخاوة :صفة الأصوات التي يجري معها النّفس عند النطق بها ويدلُّ أصله اللُّغويُّ على اللِّين والسهولة والاتِّساع، من ذلك قوالـه تعالى : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ أيّ: حرّكي. والعرب تقول: هزّه وهزّ به إذا حرّكه... و إنّما عدّاه بالباء لأنّ في هزّي معنى جُرّي.. ويستعار فيقال: هززتُ الشيء هزًّا فاهتزّ أي: حرّكته فتحرّك.. الهزّ في الأصل: الحركة، واهتزّ إذا تحرّك فاستعمله على معنى الارتياح أيّ: ارتاح.. وكلّ من خفّ لأمر وارتاح له فقد اهتزّ له... و أخذته لذلك الأمر هِزّة أيّ: أريحيّة وحركة)."وهزي إليك (يعني : حرّكي بجذع النخلة" ،إذ يوحي السّياق باللّين والحنان لطفًا وتحننًا على مريم بنت عمران حين أتاها الطلق وضاقت ذرعًا ، فكان الهاء في لفظة (هزّي) موائمًا لايحاءات النّص ودلالة العطف والرّقة بحالها."

ثالثا : دلالة أصوات الاطباق والانفتاح:

-دلالة أصوات الاطباق:

الاطباق :"أن يرتفع مؤخر اللّسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعّر على هيئة ملعقة بينما يكون طرفه ملتحمًا مع جزء آخر من أجزاء الفم مشكلاً محبسًا من المحابس الصوتيّة المختلفة." وفي معنى الاطباق ما جاء في سورة الأنبياء قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ "وفي الآية الكريمة يظهر النّبي الكريم عليه السّلام في قمّة ظلمة القلب واسوداده ، ولعلّه المعبّر عنه بالغضب، وصوت الضّاد أوقع من صوت الطّاء ههنا ، لذا تقدّمه في التعبير القرآني هذا وتظهر ظلمة الظّن والرّيبة اللّذين كان الغضب سببًا فيهما ، لذا تقدّم عليها كما يصوّر القرآن الكريم ذلك الظّلام المحكم بعد إحكام ظلام الغضب ، فانتبه يونس عليه السّلام أنّه كان من الظالمين، الّذين جانبوا الهدى ،وهو نقيضُ الظّلام والظّلم."

ومعنى الاطباق أيضًا ماجاء في سورة البقرة ، قوله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]"فالمتأمل في المفردات الضّامة للأصوات المطبقة ، يرى تلك الإيحاءات التي تشير إلى معنى الشّدّ، في إحكام النّار وسيطرتها في عمل الإضاءة ، واطباق الظّلام الدّامس بعد ذلك على عمل الأبصار" ،كتلك التي في" صيّب "وهو المطر النّازل من السّحاب الّذي يسدّ السّماء "إلى معنى السّتر والاظلام ،وفي مفردة" ظلمات" والإغلاق في" أصابهم" في إشارة مجازية مُرسلة "،أو معنى الاغشاء والامالة في "الصّواعق"إذ تضع حدًّا لأمن النّاس وإزعاجهم بصوت الرّعود الهادرة أو أنْ تغشيهم أو أنْ تميتهم "وكلّها تصّبُ في معنى الحدِّ من الشيء والاطباق عليه . ومن ثمّ يتبيّن أنّ هذه الأصوات في هذا التركيب القرآني ، متمايزة من حيث قوّتها، وتبيّن قوّة صوت الصّاد التي كانت للإضاءة على أخواتها ههنا ، متبوعة بصوت بالظّاء التي كانت للإظلام ، ثمّ صوت الصّاد التي كانت للإبصار المفقودة نتيجة الظلمة المطبقة على هؤلاء.

-دلالة أصوات الانفتاح:

الانفتاح هو وضع اللّسان عند النّطق ببعض الأصوات ، حيث ينفتح ما بين اللّسان والحنك الأعلى ويخرج الهواء من بينهما ، وتكون النقطة الأماميّة من اللّسان مخرج الصّوت"،ويدلُّ أصله اللُّغويّ على خلاف الإغلاق .ومعنى الانفتاح ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾"فكلمة) فتحنا(تبدأ بثلاث فتحات متوالية ، تنسجم تمامًا مع فعلِ فتحِ أبواب السّماء ، ويقوّي الإحساس بفعل الفتح انتهاء هذه الكلمة بفتحة رابعة مختومة بحرف مدِّ منفصل ، بمدّ بمقدار أربع أو خمس حركات"،يوحي بمقدار ذلك الفتح الّذي وسع السّماء كلّها ، وتختم كلمة)السّماء (بحرف مكسور إيذانًا بنزول الماء منها ، لتتولى بعدها حركة الكسر في كلمتي)بماء منهمر(وتختمان بها ويوحي الكسر في نهاية الكلمتين الأخرتين من شدّة الانهيار.

وجاء في الفتح ما يُجلي أيّ شكّ في قوله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ "فتح مكّة دون قتال أنّها بشرى بسهولة الفتح ، سهولة صوت الفاء ، وعظمة الاتّساع، اتّساع صوت الفاء،عند مخرجها ،كما هي بشرى لاتّساع السلطان ، ويُسر المهمّة.

رابعا : دلالة أصوات الاستعلاء والاستفال

-دلالة أصوات الاستعلاء:

الاستعلاء أن يستعليَ أقصى اللّسان عند النّطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى[]"،ويتّضح الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾" هذا الابن العاص الذّي جلب له القرآن الكريم التعابير الدّالة على استعلاء كبريائه ، فعبّر عنه بقوله)سَآوِي (بدلاً من) سأذهب(، وعبّر عن ظنّه القاصر ،بقوله: ﴿ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾، فعلى الرغم من علوّ هذا الجبل العاصم ، إلاّ أنّ الموج علا على هذا الابن المستعلي المتكبّر ، وهو ما تؤكده الفاصلة في" المغرقين"الضّامة للغين والقاف المستعليتين اللّذين علا همز المأوى ، وجيم الجبل ،وجيم الموج ذاته.ويظهر استعلاء الموج على المستعلين المتكبرين من آل فرعون ، الّذين أغرقهم الله عزّوجلّ في اليمّ ، وجاء في حكاية صوتيّة عن هذا في قوله تعالى :﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[]"إذ يتّضح علوّ الموج دون أدنى تفسير لذلك بالنظر إلى خصائص الغين الصوتية ، وتتبيّن قوّة الخالق عزّوجلّ في قهر الطُغاة ، وأخذهم أخذا عزيزا0

ويطلعنا القرآن الكريم في سورة فاطر:﴿ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[]"نقف عند كلمة" يصطرخون" الصراخ : الصوت الشديد []"أمّا الاصْطراخ : الصياح والنداء والاستغاثة، افتعال من الصراخ قلبت التاء طاءً لأجل الصاد الساكنة قبلها ، وإنّما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ، ويوافق التاء في المخرج []"وتوحي بأنّ الصُراخ قد بلغ ذروته في شدّة إطباقه ، وتراصف إيقاعه من توالي الصّاد والطّاء[]"،وقد تجمعت فيها من أصوات الاستعلاء : الصّاد والطّاء والخاء ،ممّا يُعطي للّفظة ضخامة كضخامة الأهوال في النّار ،وختمت بالواو والنون اللّذين يعطيان للّفظة دويًّا ، وهذا الانسجام مع الأصوات المضطربة المتتالية المدوية للمعذبين.

وقوله تعالى : ﴿ وهُمْ يَصْطَرِخُونَ ﴾ أبلغ من) يصرخون (؛ للإشارة إلى أنّهم يصرخون صُراخًا منكرًا خارجًا عن الحدِّ المعتاد."